

بعد داود باشا جاء فرنكو باشا. فرنكو باشا رجل من حلب يتكلم العربية كما نتكلم نحن ورجل طيب القلب محب للاكليروس، كان إذا اجتهد في اليمين يحلف براس الإكليروس الماروني. فرنكو باشا رجل مسكين، انتهى بوفاته، وكان متصرف لبنان يأتي بالأول لمدة معينة سبع سنوات ثم صار عشرة جاء بعد فرنكو باشا رستم باشا. رستم باشا كان من خيرة المتصرفين في لبنان رجل عنيف شديد لا يشكى منه إلا ضعفه مع المرأة هذه كانت تؤخذ عليه. فمن حوادثه أنه سال عن الوضع في لبنان فور قدومه وكان الأمير ... الأمير سعيد شاب، صاحب اللحم القليل في كوسى الأمير سعيد، أبيات شاعر الخوري مواطنكم ابن مكاسين، دعي إلى مائدة الأمير سعيد فوجد اللحم قليل، فقال: قد قيل إن المستحيل ثلاثة: وأنا الذي ... ولقد رأيت ... ولقد وجدت ... ولقد رأيت الغول والعنقاء والخل الوفي واللحم في كوسى الأمير سعيد. نعم، فرستم باشا سأله للأمير سعيد فقال له: كيف الحالة عندكم؟ قال له: أفدينا ... يعني بسطوتكم الأمن مستتب. كان رجلا يعتديان في الشمال رجل اسمه العاقودي والآخر غزال ... بإدخالهما في سجن الجندرما، الدرك كان يسموه الجندرما. قال له ... استدعاهما، فجاء إليه قال: أنت العاقودي قال: نعم، وقال: أنت الغزال، قال: نعم، كنتم ترتكبون شقاوات هناك؟ قالوا: نعم. قال له الأمير سعيد اخلع عنهم البدلة العسكرية وخليهم يرجعوا يعملوا الشقاوة في الشمال وهكذا كان. وعادا إلى الشقاوة فأعدم أحدهما في بلده وشنق الثاني في بيت الدين وانتهى الأمر. الإكليروس الماروني كان ضد رستم باشا بشكل واضح حتى بلغ به الأمر أن نفى المطران بطرس البستاني، والمطران بطرس البستاني رجل له قيمته في وطنه. كان وطني بالمعنى الصحيح لا كوطنية هذه الأيام دعوة. كان لا يستعمل في بيته إلا الدخان اللبناني، وكان ينصح دائما من يزوره بأن يستهلك المواد الوطنية لا الأجنبية، وكان حريصا جدا على مال المطرانية. كان هو مطران دير القمر وصيدا ودير القمر ... وهو من الدبية، فزاره يوم من الأيام وفد من أبناء الدبية، فاستكثرهم عز عليه أن يبذل لهم الطعام من الكرسي، فقال لهم: كنت أريد أن أسألكم كيف خلقتم باقي الإخوان ولكن يظهر إنكم ما تركتوا حدا في القرية جنتم كلكم. هذه ذكرى لا أعرف إذا كان بيمشي حالها ... فهذا المطران على مكانته و ... ووطنيته نفاه رستم باشا إلى القدس، أبقاء مدة هناك في القدس. كانت بدأت تتألف العدلية في عهد رستم باشا ولكن ما كانت تنظم تماما، تنظمت في أيام واصه باشا. واصه باشا رستم باشا قضى عشر سنوات في لبنان، وبعد رستم باشا جاء واصه باشا، ولكن رستم باشا كان رجل كما قلنا له قيمته وله أساليبه الدبلوماسية. يوم جاء واصه باشا تقدم رستم باشا عليه وكان يتقدمه في الاجتماعات وفي المعاملات وفي الحفلات إلى أن وقفوا جميعا لتلاوة فرمان السلطاني بتعيين بإنهاء مدة رستم باشا وتعيين واصه باشا. واصه رستم باشا إلى اليمين وواصه باشا خلفه إلى اليسار، فبقي إلى أن وصل فرمان بقراءته: وقد عينا من لدنا واصه باشا متصرفا على لبنان تحول رستم باشا من اليمين إلى اليسار وأصبح ... منه عليه، وهذا إذا بعطيك مثل من جملة الدقة الكاملة. قلنا أحمد عزت باشا بصفته مفتشا عدلية سوريا، نظم الدوائر العدلية، وأظن قلنا فيما مضى أن كل طائفة كان لها مركز معين، كانت الطائفية معروفة ومراكزها محددة. كان التقدم دائما للجندري، أظن فينا ... نعود لواصه باشا، واصه باشا كان رجل له شأنه ولكن كان عهد الارتكاب. لبنان لم يعرف الارتكاب بشكل فاضح إلا في عهد واصه باشا كان ... فهذا يقبض مال ... نعم، وقلنا البيتين ... الفلوس ... ومات في لبنان واصه باشا. وبعد واصه باشا، جاء نعوم باشا، نعوم باشا أدركناه وكذا، رجل هادئ الطبع رصين، كان عهده عهد نزاهة، ولكن مع جبروت وقوة. بعد نعوم باشا، نعوم باشا جاء ي خمسة ي ... رستم باشا جاء إلى عشر سنوات، واصه باشا إلى عشر سنوات، نعوم باشا إلى خمسة جدد له خمسة ثانية.